كيف تجمّل الصين صورة إبادتها الجماعية للمسلمين في عيون العالم العربي

"شاهدت على الأخبار مؤخراً أنّ التلفزيون الخارج يزعمون أننا مجبرون على العمل. هذا كذب. هل من خطأ إذا خرج أناسٌ متحمّسون مثلي من بيوتهم سعياً وراء فرصة عمل؟ [...] إنّ الهدف السياسي لهؤلاء الأشخاص هو أن نبقى عاطلين عن العمل وفقراء."

يوسبجان ياسنجان، متكلّم من إثنية الأيغور في مؤتمر "شينجيانغ مكان رائع" الذي نظّمته السفارة الصينية في مصر، في 30 حزيران/يونيو 2021

من الواضح، بالنسبة إلى كل من يتابع ما يجري في إقليم شينجيانغ، شمال غرب الصين، منذ العقد الفائت أنّ شيئاً رهيباً فعلاً يحدث هناك. فقد وقع أفراد مجتمع الأويغور في الصين، وهي أقلية إثنية أغلبها من المسلمين، في قبضة نظام رقابة رقمية ومادية، يمكن تصنيفه على أنه الأقوى والأكثر تعدياً في العالم. فبات الأويغور هدفاً لحملات قرصنة، وتمّ تذويبهم قسراً في المجتمع الأكبر، واحتجازهم في معسكرات اعتقال، وإخضاعهم للعمل الجبري، لا بل إخفاؤهم عن الأنظار تماماً، وبكلّ بساطة، في أغلب الأحيان. وفي السنوات الأخيرة، تراكمت الأدلة الواحد تلو الآخر على فظائع جماعية تُرتكب هناك، كظهور صور عن معسكرات الاعتقال، وتسريب عدة وثائق حكومية داخلية تشجع مسؤولي الحزب الشيوعي الصيني على "اعتقال كل من يستحق ذلك" و"عدم إظهار أي رحمة على الإطلاق" تجاه المحتجزين الأويغور. كان كل ذلك كافياً بالنسبة إلى عدة حكومات حول العالم لتصنيف ما تقوم به الصين بالإبادة الجماعية رسمياً. لكن رغم تزايد الأدلة، تستمرّ الصين في إصرارها على أنّ كل الادعاءات بانتهاك حقوق الإنسان في شينجيانغ هي بمثابة "كذبة القرن". وفي الواقع، تهدف التصريحات التي يتمّ الإدلاء بها، على غرار تصريح ياسنجان في المؤتمر الصحفي الذي عُقد في مصر، إلى الترويج لموقف الحزب الشيوعي الصيني القائل إنّ الغرب يستغل شينجيانغ لكبح جماح الصين" (以疆制华).

مع تزايد الأدلة على هذه الفظائع الجماعية، تزايدت كذلك المعلومات المضللة والبروباغندا التي نشرتها بيجين لإنكار تورّطها وإخفاء مسؤوليتها. وفي الواقع، كانت السرديات المنشورة من الإيجابية والمثالية في بعض الأحيان لدرجة تكاد تقارب المحاكاة الساخرة والاستهزاء بعقول الناس. فبشكل عام، أكّد الحزب الشيوعي الصيني بكلّ

بساطة أنّ " شينجيانغ مكان رائع". لكن رغم كل ما ينطوي عليه هذا الأمر من هزلية، حريّ بنا ألا نستخف بالخبث الكامن فيه، أو بالضرر البالغ والفعلي الذي يتسبّب به للأويغور في شينجيانغ. فبموجب هذا الشعار، أنفقت جمهورية الصين الشعبية القسم الأكبر من 2021 وهي تنظّم سلسلةً من المؤتمرات الصحفية التي تستهدف العالم الإسلامي، ضمن إطار جهود متضافرة لإقناع إخوة الأويغور في الإسلام، أينما كانوا في العالم، أنّ ما من مكروه يصيب شينجيانغ، بالرغم من كل ما يمكن أن يكونوا قد سمعوه. كما نالت هذه المؤتمرات دعايةً غير مباشرة على وسائل التواصل الاجتماعي من مؤثّرين ينتمون إلى جمهورية الصين الشعبية، ساهموا في تضخيم الكذبة القائلة إنّ ما من فرد من أفراد الأويغور يتعرّض للأذى في شينجيانغ، فإيصالها إلى جمهور أوسع.

من مشهد مفجع إلى مكان رائع: كيف يبرّئ الحزب الشيوعي الصيني نفسه من جرائمه على مرأى من الجميع

شكّلت مصر الهدف الرئيسي لحملة التأثير التي أطلقتها جمهورية الصين الشعبية. فتشاركت السفارة الصينية في مصر وحكومة شينجيانغ المحلية في استضافة مؤتمر عبر الفيديو بعنوان "شينجيانغ مكان رائع" في 30 حزيران/يونيو 2021. وكان من بين المتكلّمين والحضور عدة مسؤولين من الحزب الشيوعي الصيني، بالإضافة إلى مسؤولين مصريين رفيعي المستوى.

تشكّل مارسيل سمير، وهي نائبة عن حزب التجمع، أحد الأمثلة البارزة على تأثير هذا الاستهداف. فقد تذمّرت سمير من "تجاهل الولايات المتحدة لإنجازات" الصين في شينجيانغ. كما استغلّ الصحافي في جريدة الأهرام، محمود سعد دياب (في مثال قد يكون أكثر مدعاةً للقلق)، الخطاب الذي ألقاه في اللقاء نفسه لامتداح محاسن قطن شينجيانغ، وأجبانها، وفواكهها، متجاهلاً بكل بساطة الاتهامات الموثوقة بارتكاب العمل الجبري في المنطقة. لكنّ السيد دياب ما هو، للأسف، إلا ظاهرة من ظواهر التودّد الناجح تماماً الذي قابلت به الصين الصحافيين المصريين. فحدّث ولا حرج عن الإجازات المدفوعة، وإدراج الأهرام- وهي الصحيفة اليومية الأوسع انتشاراً في البلاد- كأحد أعضاء شبكة أخبار الحزام والطريق، مما يثبت إطلاق الحزب الشيوعي الصيني لحملة ساحرة من أجل استمالة مستهدفيه في مصر وخارجها.

على امتداد المؤتمر الذي استمرّ ثلاث ساعات، قدّم عدة أفراد من الأويغور عروض فيديو عبر الإنترنت. وقد بدا أنهم يبذلون جهوداً جهيدة للتركيز على المستوى المعيشي المرتفع الذي يتمتعون به في شينجيانغ. وكان يوسبجان ياسنجان أحد هؤلاء المتكلّمين البارزين. ياسنجان شخص من الأويغور، يعيش في شينجيانغ، وكان يعمل سابقاً في "أو فيلم"، وهي شركة تصنيع قطع غيار الكاميرات والهواتف الذكية التي كانت آبل قد قطعت

علاقاتها بها في آذار/مارس 2021 بسبب انتشار مزاعم باعتمادها على العمل الجبري. خلال المؤتمر، توسّع ياسنجان في ظروف العمل الرائعة في "أو فيلم"، حيث كان العمّال يحصلون على سكن مجاني، ووجبات حلال، مع "احترام الشركة لعاداتهم وتقاليدهم". كما عرض ياسنجان صوراً بالحجم الكبير له ولأصدقاء كانوا قد زاروه أثناء عمله في "أو فيلم"، زاعماً أنّ أصدقاءه "حسدوه" على نمط حياته هذا.

لكن عندما شارف ياسنجان على إنهاء خطابه، تحوّلت نبرته فجأةً من التمجيد إلى النقد اللاذع. فانتقل يتحدّث عن تقارير لوسائل إخبارية "أجنبية" تتناول فيها انتهاكات حقوق الإنسان والعمل الجبري في شينجيانغ. فزعم ياسنجان أنّ هذه التقارير الإخبارية كاذبة تماماً، لا بل جزء من مؤامرة كبرى لقمع الأويغور، وإبقائهم في حالة من البطالة، وعرقلة التنمية الاقتصادية في شينجيانغ.

ليس ياسنجان إلا واحداً من حفنة من الأويغور الذين تروّج لهم الحكومة وجهازها الإعلامي بحماس، أكان ذلك في الداخل أم في الخارج، كجزءٍ من محاولاتها لإنكار الفظائع التي تحدث في شينجيانغ.

لكنّ خطاب ياسنجان لم يكن مرتجلاً على الإطلاق. فقد راحت عيناه تتنقّلان من اليسار إلى اليمين في متابعة للنصّ الذي كان يقرأه، مما أوضح أنّ خطابه كان محضّراً، كلمةً بكلمة، سلفاً. وقد تضمّنت الكثير من جمله اقتباساتٍ مباشرة من تعليقات سابقة كان قد أدلى بها في مؤتمر صحفي حول شينجيانغ، من تنظيم وزارة الخارجية الصينية في أوائل شباط/فبراير 2021، أي قبل أربعة أشهر تقريباً من المؤتمر الذي انعقد في مصر. وليس هذا فحسب، لا بل إنّ خطاب ياسنجان في مؤتمر صحفي آخر نظّمته وزارة الخارجية حول شينجيانغ، بعد مضي شهرين على مؤتمر مصر، كان مطابقاً عملياً لذاك الذي تلاه في مصر، وقد أعيد نشره في مقال في صحيفة الشعب الصينية بعنوان "شعب شينجيانغ يفضح أكاذيب السياسيين الغربيين: مؤامراتهم ستؤول إلى الفشل." في الواقع، نظّمت الحكومة أكثر من ستين مؤتمراً صحفياً مماثلاً "حول قضايا متعلقة بشينجيانغ" في العام 2021 وحده، وكلها تضمّنت سرديات مماثلة.

بالإضافة إلى ذلك، في ما خلا مشاركة ياسنجان في مؤتمر مصر الذي حمل عنوان "شينجيانغ مكان رائع"، حلّ ضيفاً أيضاً في مؤتمرات صحفية حكومية أخرى. فقد ورد ذكره في بيانات صحفية صادرة عن سفارات صينية في شتى أنحاء العالم، كما ظهر على نطاق واسع في مختلف وسائل الإعلام التابعة للدولة الصينية، مثل كزهوا، سي سي تي في، تشاينا دايلي، إذاعة الصين الدولية، بيجين دايلي، غوانغمينغ دايلي، بيبلز دايلي، شبكة المنطقة

الجنوبية الشرقية، زيجيانغ أونلاين، وشبكة تياشان. وقد أجمعت عناوين هذه المقالات كلها على الاستخفاف بفكرة حدوث انتهاكات لحقوق الإنسان في شينجيانغ. في الواقع، زعم أحد العناوين الرئيسية أنّ ياسنجان وغيره "يدحضون الأكاذيب الخبيثة التي تشوّه سمعة الصين."

في الواقع، ليس ياسنجان إلا واحداً من حفنة من الأويغور الذين تروّج لهم الحكومة وجهازها الإعلامي بحماس، أكان ذلك في الداخل أم في الخارج، كجزءٍ من محاولاتها لإنكار الفظائع التي تحدث في شينجيانغ. ويكرّر أشخاص آخرون من الأويغور، تمّ انتقاؤهم بعناية، نفس الجمل في شهاداتهم التي استخدمها ياسنجان في مصر. مثلاً، في مؤتمر آخر يمجّد "حلاوة العيش في شينجيانغ"، حرصت سوبينور مامتمين، وهي امرأة من الأويغور زعمت أن مركز إعادة التربية في الصين "منحها حياةً جديدةً"، على تكرار قائمة الأدوات والمنافع نفسها التي قدّمها لها رئيسها في العمل.

دعم من وراء الكواليس: جهات غير معرّفة تابعة للحكومة تروّج للبروباغندا الصينية عن شينجيانغ على الإنترنت

يروّج إعلام الدولة والمكاتب الحكومية في الصين لأحداثها ومؤتمراتها الدعائية الموسّعة على نطاق شامل. لكنّ الأمر لم يتوقّف عند هذا الحدّ. فقد أحيطت مؤتمرات "شينجيانغ مكان رائع" أيضاً بدعاية أكثر مكراً وإتقاناً من مؤثّرين لم يكشفوا عن صلاتهم بالإعلام المملوك للدولة. في الواقع، اكتشف فريقنا في ميبورو أنّ هؤلاء المؤثّرين يتمتعون بجمهور واسع النطاق: فهم ينتجون المحتوى بـ38 لغة لاستهداف 180 دولة، ويتباهون بامتلاكهم حوالي 67 مليون متابع.

من هؤلاء المؤثّرين، فيحاء وانغ (王馨 بالصينية) وهي مؤثّرة على أسلوب الحياة، تتحدّث العربية بطلاقة. عاشت في مصر، حيث كانت تنشر محتوى وسائل الإعلام التابعة للحكومة الصينية باللغة العربية، ولها حوالي 1.5 مليون متابع على فايسبوك، إنستاغرام، تويتر، تيك توك ويوتيوب مجتمعةً. ورغم عدم كشفها عن ذلك على بعض المنصات، فإنّ وانغ موظفة في إذاعة الصين الدولية، وهي وسيلة إعلامية تابعة للدولة تشكّل ركناً أساسياً من حملة البروباغندا الخارجية الكبرى التي تقودها الصين (大外宣). نشرت وانغ رابطاً بالبث المباشر لمؤتمر مصر على صفحتها على فايسبوك. فنال الفيديو حوالي 6 آلاف مشاهدة ومئات التعليقات والتفاعلات. لكنه ليس المنشور الوحيد الذي أنكرت فيه وانغ حدوث الفظائع الجماعية في شينجيانغ. ففي شهر أيار/مايو الفائت، وبعد مشاركة وانغ في إحاطة صحفية بعنوان "قصص من مواطني شنجيانغ"، أعلنت أنّ جلسة المناقشة في ذلك الاجتماع "تشير إلى عدم حدوث "الإبادة الجماعية" كما تزعمه بعض وسائل الإعلام الغربية." وما زال إعلانها هذا منشوراً على حسابها على وسائل التواصل الاجتماعي حتى اليوم (راجع الصورة أدناه).

تحليل التكتيكات الأوسع للبروباغندا والمعلومات المضللة، وكيفية التعامل معها

مع بدء الحكومات من مختلف أنحاء العالم بفرض عقوبات على مسؤولين من الحزب الشيوعي الصيني، والاعتراف رسمياً والاعتراف رسميا بأن ما يحدث في شينجيانغ منذ العقد الفائت يُصنّف بالإبادة الجماعية، باتت حملة البروباغندا الرسمية التي يقودها الحزب لإنكار هذه التهم أكثر عدائيةً بكثير. فشملت جهود بيجين حملات بروباغندا صريحة، كسلسلة مؤتمرات "بيجين مكان رائع" التي عُقدت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فضلاً عن رسائل مبطّنة أكثر، كاستخدام المؤثّرين أو الحسابات الوهمية لنشر رسائل تنكر حدوث الإبادة الجماعية على فايسبوك وتويتر ويوتيوب. ولجأت الصين إلى هذه الطريقة في عدة دول ذات أغلبية مسلمة، مثل أندونيسيا، وإيران، وماليزيا، وباكستان، وتركيا، حيث لاقت بعض النجاح. ومن الأمثلة الملحوظة على ذلك باكستان، حيث شارك قاسم سوري، نائب رئيس الجمعية الوطنية الباكستانية، لا بل ردّد جمل الحزب الشيوعي الصيني بحذافيرها في المؤتمر، مثنياً على التنمية الاقتصادية الأخيرة في شينجيانغ، ونافياً "البروباغندا الكاذبة" التي يروّج لها الغرب. كذلك، استضافت الصين مؤتمرات مشابهة في دول ذات أكثرية غير مسلمة، مثل أستراليا، بلجيكا، كندا، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، اليابان، روسيا، سويسرا والولايات المتحدة. إذاً، حيثما نظرت، لا يتوانى الحزب الشيوعي الصيني عن إنكار جرائمه بشكل حثيث على مسامع كل من يصغي إليه.

اتّخذ الحزب الشيوعي الصيني موقفاً هجومياً لتلميع صورة أعماله في شينجيانغ، مضيفاً على إجراءات الرقابة التي يطبّقها حملات استباقية لنشر المعلومات المضللة حول العالم.

خلال السنوات الماضية، بذلت الصين قصارى جهدها للتحكّم بالمعلومات والسرديات المنتشرة عن شينجيانغ في الخارج، من خلال توظيف مجموعة من تكتيكات القوة الحادة، والرقابة، والضغوطات الاقتصادية. بناءً عليه، أجبرت الصحافية الفرنسية أورسولا غوتييه على مغادرة البلاد عام 2015 من خلال الامتناع عن تجديد أوراق اعتمادها، بسبب طريقة تغطيتها للأحداث في شينجيانغ. وفي تايوان، أرغم مسؤولون صينيون الوسائل الإعلامية على حذف التغطية التي تركّز على شينجيانغ، كشرط أساسي للوصول إلى سوق الإعلام الواسع في برّ الصين الرئيسي. كما قدّمت بيجين حوافز اقتصادية مشابهة لشراء صمت الدول الشرق الأوسطية القوية، كالسعودية، والإمارات، وقطر. فنجحت هذه الخطوات في فرض الطاعة: بالفعل، دأبت الدول ذات الأغلبية المسلمة مثل مصر، والسعودية، والإمارات على تسليم الأويغور إلى الصين بناءً على طلب الحزب الشيوعي الصيني، منذ أن بدأ القمع الواسع النطاق في شينجيانغ. لكنّ الإجراءات التي بدأت بيجين باعتمادها في السنة

الماضية تعكس تحوّلاً أكثر عدائية في السياسات: فقد اتّخذ الحزب الشيوعي الصيني موقفاً هجومياً لتلميع صورة أعماله في شينجيانغ، مضيفاً على إجراءات الرقابة التي يطبّقها حملات استباقية لنشر المعلومات المضللة حول العالم.

أوضحت الصحافية الفيليبينية ماريا ريسا، في خطاب قبولها لجائزة نوبل للسلام، أنّ الديمقراطية تكون في خطر عندما يُسمح للمعلومات المضللة بالتكاثر والازدهار من دون حسيب ولا رقيب. في هذا الإطار، هناك عدة طرق يمكننا عبرها تضخيم صوت الحقيقة، لمكافحة حملات المعلومات المضللة العدائية التي يشنّها الحزب الشيوعي الصيني بهدف تبرئة ذمته من الإبادة الجماعية في شينجيانغ. أولاً، على منصات وسائل التواصل الاجتماعي أداء عمل أفضل من حيث تصنيفها وسائل إعلام الحكومة الصينية والشركات التابعة لها على أنها كذلك. في هذا الإطار، أظهر بحثنا، إلى جانب تحقيقات أخرى، أنّ فايسبوك وتويتر اتّبعا سياسات غير متّسقة عند تصنيف الحسابات بمثل هذه التصنيفات وإضافة التنبيهات اللازمة، خاصةً عندما تكون الشركات التابعة لأشخاص من البشرة البيضاء أو عندما تنشر معلومات بغير اللغة الإنجليزية. وفي الواقع، أظهرت أبحاث أخيرة أنّ هذه التسميات تساعد في لجم انتشار المعلومات المضللة في مراحلها الأولى. بالإضافة إلى ذلك، على فايسبوك بدوره تطبيق إجراءات أكثر صرامة على حسابات السايبورغ التي تقوم بالإعجاب التلقائي، مما يضخم زوراً شعبية وسائل الإعلام المملوكة للدولة الصينية على منصّته. بالفعل، عام 2019، احتلّت وسائل الإعلام الحكومية الصينية خمس مراتب من بين أكثر ست صفحات إخبارية ذات شعبية في العالم على فايسبوك (المحظور في الصين). ووفقاً لصوفي زانغ، إحدى المبلّغات عن الفساد وموظفة سابقة في فايسبوك، تعود الكثير من نقرات الإعجاب والمتابعة لصفحات فايسبوك إلى حسابات وهمية.

على مجموعات المجتمع المدني في العالم الإسلامي والعربي تكثيف الضغوطات على كلّ من شركات الأعمال والحكومات لكي تجاهر بتنديدها للفظائع المستمرة التي يرتكبها الحزب الشيوعي الصيني ضد الأويغور.

ثانياً، على مجموعات المجتمع المدني في العالم الإسلامي والعربي تكثيف الضغوطات على كلّ من شركات الأعمال والحكومات لكي تجاهر بتنديدها للفظائع المستمرة التي يرتكبها الحزب الشيوعي الصيني ضد الأويغور. وفي الواقع، بدأ الكثير منها يفعل ذلك. فمنذ أيلول/سبتمبر 2021، قاطعت أكثر من أربعين منظمة مجتمع مدني مسلمة سلسلة فنادق الهيلتون منذ انتشار تقارير عن بنائها فندق فوق أطلال مسجد تمّ هدمه في شينجيانغ.

بالإضافة إلى ذلك، من شأن التنسيق العالمي بين المنظمات غير الحكومية المعنية بحقوق الإنسان أن يمارس ضغوطات مطلوبة بشدة على أصحاب السلطة غير الراغبين في رفع الصوت. جدير بالذكر أنّ البحث الاستقصائي يتمتع بهذه القوة أيضاً. فقد أدّت تقارير كانت قد كشفت عن وجود انتهاكات في سلسلة الإمداد إلى الضغط على شركات متعددة الجنسيات، ونجحت في استئصال العمل الجبري في شينجيانغ من سلاسل الإمداد. وبفضل الأبحاث التي تناولت المناقصات الحكومية ومستندات الميزانية، اضطر الحزب الشيوعي الصيني نفسه إلى تغيير نبرته عام 2018 والإقرار بوجود "معسكرات إعادة التربية"، في خطوة شكّلت انقلاباً على سياسته السابقة المتمثلة بالإنكار.

أخيراً، يتحمّل المشرّعون في الأنظمة الديمقراطية الليبرالية مسؤولية عرقلة تدفق حملات البروباغندا الإلكترونية وغير الإلكترونية، من خلال الضغط لإجراء إصلاحات. على سبيل المثال، يمكن تطبيق القانون الأميركي لتسجيل الوكلاء الأجانب بشكل أفضل، وهو قانون كانت الولايات المتحدة قد أقرّته للجم البروباغندا النازية التي كانت تستهدف الأميركيين خلال الحرب العالمية الثانية. وتجدر الإشارة إلى أنّ عدة قوانين قد استُلهمت، في جزء منها، من نجاحات هذا القانون، كقانون مكافحة التسلل الذي أُقرّ في تايوان مؤخراً. كما يمكن للأنظمة الديمقراطية الليبرالية الالتزام بروح قيمها التأسيسية، من خلال الاستمرار في نشر الأدلة عن انتهاكات حقوق الإنسان في شينجيانغ. فمن دون هذه الإجراءات المضادة، لن يبقى سوى أمل ضعيف بإنهاء الفظائع الجماعية في شينجيانغ، أو وضع حدّ للمعلومات المضللة التي تنشرها شينجيانغ في هذا الشأن.

نيك موناكو هو رئيس قسم الأبحاث والتطوير ومدير الأبحاث المتعلقة بالصين في "ميبورو"، وهي شركة لإجراء تحليلات وأبحاث حول المعلومات المضللة. أما كولن إيد، فهو مدير التحاليل في ميبورو، ورئيس المبادرات البحثية المتعلقة بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا. يمكنك متابعتهما على تويتر على @_NickMonaco و@_Eide.

تمثّل الآراء الواردة في هذا البحث أفكار المؤلّفين وتحليلهما، ولا تعكس بأي شكل من الأشكال أفكار الصندوق الوطني للديمقراطية أو موظفيه.